185452 ـ حكم قول القائل : " لو كان رمضان طيلة السنة لقلت المنكرات ، ولكان ذلك أفضل "

السؤال

ما حكم أن يقول المرء لو كان رمضان طيلة السنة لقلت المنكرات ، ولكان ذلك أفضل ؟ مع العلم أن الشخص المتمني يعلم علم اليقين أن أحكام الله سبحانه وتعالى لا تناقش ، وأنه لا أحد يقترح على الله سبحانه وتعالى .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الذي ينبغي أن يمسك المرء لسانه ، ولا يتكلف ما ليس له به علم ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه ولا فائدة من ورائه .
وقول القائل : " لو كان رمضان طيلة السنة لقلت المنكرات " وإن كانت لا تظهر لنا مخالفة شرعية في مجرد هذا القول ؛ لثبوت قلة المنكرات في رمضان شرعا وقدرا ؛ لأن الشياطين تسلسل فيه ويقل إغواؤهم وإيذاؤهم ؛ فالذي ينبغي ـ رغم ما ذكرناه ـ ألا نطلق ذلك ؛ فلا أحد يدري ما كان يصير أمر العباد لو أن الله كلفهم بصيام السنة كلها ؛ فذلك من أمر الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، وقلة المنكرات في رمضان الذي فرضه الله على عباده ، ليس بلازم أن يكون الحال كذلك ، لو أن الله قدر عليهم أن تكون السنة كلها رمضان ؛ وقد قال الله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الأعراف/33، وقال تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء/36 .

وأما قوله : " ولكان ذلك أفضل " فهذا أدخل في الباطل ؛ بل فيه من الجرأة على الله ، والقول على الله بغير علم ، الاقتراح عليه ما فيه ، وهو أدخل في سوء الأدب مع الله ، وأشبه بالاعتراض على شرعه وقدره سبحانه ، وقد منع الله تعالى أن يكون لأحد من خلقه شيء من الاختيار معه ، كما قال تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) القصص/68 ، فنفى أن يكون لأحد من خلقه شيء من الاختيار معه فيما خلق وقدر . وقال تعالى أيضا : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) الأحزاب/36 ، فنفى أن يكون لأحد من خلقه شيء من الخيرة في أمره وشرعه .
وتأمل ما وقع في خلق آدم ، وما كان من شأن الملائكة مع رب العزة في ذلك : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة/30 .
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله :

" وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك ، فنزهوا الباري عن ذلك ، وعظموه ، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة فقالوا: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك ، (وَنُقَدِّسُ لَكَ) يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص ، ويحتمل أن يكون : ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة ، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه ، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة.

قال الله تعالى للملائكة: (إِنِّي أَعْلَمُ) من هذا الخليفة (مَا لا تَعْلَمُونَ) ؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة ، أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين ، والشهداء والصالحين ، ولتظهر آياته للخلق ، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة ، كالجهاد وغيره ، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان ، وليتبين عدوه من وليه ، وحزبه من حربه ، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه ، واتصف به ، فهذه حكم عظيمة ، يكفي بعضها في ذلك " انتهى من "تفسير السعدي" (48-49) .

والله أعلم .